مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، ١٤٣٥/٢٠١٤، السنة الواحدة والعشرون، العدد ١ (٢) ١٠٣-٨١

حوارية اللغة في روايات إبراهيم الكوني

فاطمه اكبري زاده،[*١] محمد طيّبي[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٣٥/٥/١٤ تاريخ القبول: ١٤٣٥/١١/١٩

إنّ الرواية ظاهرة لغوية تكمن أصالتها في تجميع الأساليب المختلفة واللغات المتعددة والأصوات المتنوعة التي تقيم بينها العلاقات الحوارية. إنّها قادرة على أن تجلّي الحوارية بين مختلف اللغات الاجتماعية، لتنتج خطاباً روائياً يعكس جمالية العلاقات اللغوية ويعمق القناعة بالأحداث الروائية؛كما تبرز العلاقات الحوارية الداخلية بين لغتها ولغة سائر النصوص الأدبية وغير الأدبية، لتنتج نصاً متزوداً بنصوص غيره. أما دراسة لغة الرواية من هذا المنظر النقدي أي "الحوارية"، فتكشف عما للروائي من أسرار أسلوبية متميزة، وآليات التعبير، وطرائق استخدام وكيفية انتقاء المادة اللغوية. والدراسة التوصيفية التحليلية هذه، تكشف ميزات حوارية لغة روايات إبراهيم الكوني الذي يهتم بتصوير الصحراء وما فيها من الموجودات؛ إذ حول عالم الصحراء إلى كون حيوي مفعم بأحاسيس جمالية لا حدود لها. إنّه قد أنتج التعدد اللغوي في رواياته باستخدام اللغات المتعددة في مختلف مستويات المجتمع الإنساني من لغة معاصريه والأسلاف، ومما وهب للجمادات والحيوانات لغة خاصة. إنّه يمجد الصحراء ويقدس عناصرها، فيجعل للصحراء صورةً جماليةً متميزةً في لغة رواياته؛ ولتقوية هذه الصورة تبرز العلاقات الحوارية الداخلية بين لغة الرواية ولغة مختلف الأجناس من الأجناس الأدبية، والأسطورية، والدينية، والتاريخية؛ حيث يتبدل لغة الرواية إلى لوحة حوارية على أساس اللاتجانس اللغوي والإيدئولوجي للكائنات الصحراوية.

الكلمات الرئيسية: الحوارية، التعدد اللغوي، التناص، الرواية، إبراهيم الكوني.

١. خريجة فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس. Hasty8359@yahoo.com
٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة البليدة، الجزائر. Taibi_m@yahoo.fr

Archive of SID
www.SID.ir

١. المقدمة

قد اكتسبت الرواية موقعاً متميزاً خلال العقود الأخيرة، مقارنةً مع سواها من بنات الأدب الأخرى بلغتها وهي لغة حية، تتفاعل وتمتزج باللغات الأخرى، وتمتص كل الأجناس الأخرى(حمود، ٢٠٠٠ :٣٦)؛ وقد اعتبرها باختين "جنساً في سيرورة"، يسير "في طليعة التطور الأدبي كله في الأزمنة الحديثة"(انظر: باختين، ١٣٩٠: ٣٦-٣٢).كما أنّ الأدبية لاتتحقق في أي عمل كان، إلا بواسطة "لغة" بعيدة كل البعد عن كونها دلاليةً فقط، إذ إنّ لها جانبها التعبيري، فهي تنقل لهجة المتحدث أو الكاتب وموقفه، كما تؤثر في موقف القارئ(وارين، ١٩٧٢ :٢٣). إذن تكون لغة النص الفني "مزدوجة الوظيفة والغاية: تؤدي ما يؤديه الكلام عادةً، وهو إبلاغ الرسالة الدلالية، وتسلط مع ذلك على المتقبل تأثيراً ضاغطاً، به ينفعل للرسالة المبلغة انفعالاً ما"(المسدى، ١٩٨٢ :٣٦). فالرواية كجنس أدبي متفرد باستخدام العلاقات الحوارية في بنيتها، تبرز اختلاف اللغات الاجتماعية وإيدئولوجيتها، وتخلق انطباعاً أقوى لدى المتلقي، كما تستدعى لغة النصوص الأدبية وغير الأدبية في لغتها، وتصل نصها إلى الجذور الثقافية والفكرية؛ مثلما يلاحظ في إبداعات ابراهيم الكوني الروائية.

إنّ "إبراهيم الكوني[١]" وهو الروائي المشبع بالموروث العربي والإفريقي، يمتاز في إبداعه الروائي بثقافتها الموسوعية بجانب كونه يركز في أعماله جميعها على عنصر الصحراء كموضوع مغترب في الأدب العالمي، بما يمتلك من مخيلة واسعة معبأة بطاقة لغوية هائلة، وقدرات جمالية متميزة، وبصمات أسلوبية مغايرة للمألوف الروائي العربي. إنّه بالتركيز على الصحراء يخلق لغةً مختلفةً في رواياته، إذ يتصل بالجذور الفكرية والثقافية الملائمة مع الصحراء والكائنات الصحراوية من الإنسان وغيره. فبما لهذا الروائي من أسلوبية متميزة، أهّلته لتبوء المكانة الممتازة، فيحاول هذا البحث أن يدرس جوانب من آليات الكاتب في التعبير، مركّزاً على طرائق استعمال المادة اللغوية تحديداً، بالنظر إلى كيفية انتقاء ما ينبغي انتقاؤه من عناصر هذه المادة، لتفحص مدى ما للروائي من قدرات معرفية متنوعة لإثراء أعماله. فيتناول البحث التعدد اللغوي وموضوع التناص وما يضفيه من تنوع ثقافي، لدراسة العلاقات القائمة بين مختلف اللغات والثقافات، وما يجعل النص منفتحاً على ما لا نهاية له من النصوص الأخرى من تراث الكاتب القومي، أو التراث العالمي ككل ويجيب عن السؤالات التالية:

١- كيف يتسنى لإبراهيم الكوني تحقيق التعدد اللغوي في البناء الفني والدلالي للغة الرواية؟

٢- ثم،كيف يثرى عمله باستدعاء المادة الثقافية من الأدبية وغير الأدبية عبر العلاقات الحوارية الداخلية؟

٢. الدراسات السابقة

قد وضعت أعمال إبراهيم الكوني موضع اهتمام باحثي الأدب والرواية وقد نتجت منها دراسات أكاديمية مختلفة ومنها أطروحتان اثنتان لنيل شهادة الدكتوراه، ورسالتان لنيل شهادة الماجستير: *"مخيال الصحراء في روايات إبراهيم الكوني"* ، أعدها علال سنقوقة، بجامعة الجزائر تحت إشراف الدكتور واسيني الأعرج. *"إشكالية التعميم في حوارية باختين،(رواية نزيف الحجر) لإبراهيم الكوني نموذجاً"* ، أعدها ميلود شنوفي، بجامعة الجزائر تحت إشراف الدكتور عمار بن زايد. *"تعدد الأصوات في الرواية الهامشية، تحليل رواية التبر لإبراهيم الكوني"* ، أعدتها سامية عليوات، بالمركز الجامعي

Archive of SID
www.SID.ir

للبويرة وأشرف عليها الدكتور بوعلي كحال. *"الفن الروائي في أدب إبراهيم الكوني، دراسة موضوعية فنية"* ، أعدها خالد محمد جهينة بالقاهرة وأشرف عليها الدكتور عاطف جودة نصر. كل هذه الدراسات قد تطرقت إلى تحليل أعمال الكوني بآليات نقدية مختلفة. رغم كل هذه البحوث، يبدو أنّ أعمال إبراهيم الكوني لاتزال غير بال في الدراسات الإيرانية؛ إلا أن نجد من مثل " *الواقعية السحرية في أعمال إبراهيم الكوني(رواية "الورم" نموذجاً)"* ، لصلاح الدين عبدي، الذي نشر في مجلة العلوم الإنسانية الدولية، ع١٢(٤)؛ وهو قد درس العنصر الخطاب الواقعي السحري(الفنطستيكي) في هذه الرواية. وهذا البحث بالتركيز الأدبية وغير الأدبية، فإنّه يقع فى صميم الحوارية أو هو نفس الحوارية على خصوصيات الحوارية في لغة روايات الكوني، يحاول أن ينجز دراسة جديدة، وهو البحث عن اللغات المتعددة ونوعية التفاعل بين اللغات الاجتماعية وما يخلق الكوني لغة للحيوانات وغيرها من الكائنات الصحراوية، كما يكشف آفاق العلاقات الحوارية بين نصوص روايات الكوني ومختلف الأجناس الأدبية وغير الأدبية.

٣. الحوارية في لغة الرواية

العلاقات الحوارية الداخلية في البنية الاجتماعية الإيدئولوجية للغة الرواية؛ تستطيع أن تبرز وتلعب دوراً رئيساً في خلق صورة العمل الأدبي من خلال تقوية جانب التنوع في اللغة، وتخرج الرواية من مركزية اللغوية وتوجّهها نحو التعددية والتكثر كرؤية صورة العمل الأدبي خلال تقوية جانب التنوع في اللغة وتخرج عالمية خاصة بالفئات الاجتماعية عبر خصيصة مسماة بـ"التعدد اللغوي"، أو استدعاء اللغات الأخرى من الأجناس الأدبية وغير الأدبية عبر خصيصة مسماة بـ"التناص". وإذا يؤكد باختين على المبدأ الحواري كمبدأ جوهري أساسي للرواية، فالتعدد اللغوي ومن ثم التناص، يحرص على تباين الأصوات الفردية المختلفة غير الممركزة بتوجهاتها الفكرية وعلى اللاتجانس بين اللغات الاجتماعية واللاتجانس بين لغة الرواية واللغات الأدبية وغير الأدبية، فإنّه يقع في صميم الحوارية أو هو نفس الحوارية، أي الحوارية لا تحقق دونه.

١.٣. التعدد اللغوي[1]

على أساس النظرية النقدية لباختين في دراساته الرواية وحسب فكرته الرئيسية "الحوارية"، يمكن أن نعتبر الرواية ظاهرة لغوية، والتي تكمن أصالتها في خصيصتها التي يصطلح عليها بـ"التعدد اللغوي(أو اللساني)"؛ وهو تنضيد المستويات المختلفة للغات وتجميع الأساليب المختلفة واللغات المتعددة والأصوات المتنوعة التي تقيم بينها العلاقات الحوارية. على هذا الأساس، تتجمع الوحدات الأسلوبية اللامتجانسة التابعة والمستقلة نسبياً، داخل وحدة الرواية العليا؛ فيتجلى عنصر اللاتجانس اللغوي في نسيج الرواية، إلى أن نعتبر الرواية "ظاهرة متعددة الأسلوب ومتعددة اللسان ومتعددة الأصوات."(باختين، ١٣٨٣: ٧٨).

إنّ لغة الرواية، بوصفها رؤية للعالم ووعياً متعدداً متشبعاً لاوي،٢٠٠٠: ١٠٨؛ الكردي، ٢٠٠٦: ٢٢٧). هكذا يشغل التعدد اللغوي موقعاً بؤرياً داخل النص الروائي، بما له من كفاية في رسم الشخوص وترسيم الصورة السردية وتوليد المتخيل بامتداداته الرمزية والأسطورية(فرشوخ،١٩٩٦: ٩٣). إذ الرواية تهتم بتنوع الملفوظات وتعدد اللغات فتعطيه حيزاً واسعاً للعمل، ليقيم بناءها على أساس "أسلوب ثلاثي أبعاد يرتبط بصيغة الوعي المتعدد اللغات الذي يتحقق فيه"(دراج،

1. Le plurilinguisme

Archive of SID
www.SID.ir

٢٠٠٢: ٧٣؛ احمدي،١٣٨٠: ٩٤)؛ تتلائم الرواية بين جميع تيماتها ومجموع عالمها ملائمة مشخصة فى وحدة لغة مشتركة، إذ هو ما يبدو بمثابة قاعدة يقوم عليها الأسلوب(باختين، ١٩٨٧: ٣٩)، في تركيب يوهم القارئ بالتكافؤ والتجانس.

٢.٣. التناص[1]

حسب المحاولات الحديثة لعلمنة النص، وبعد أن يتناول النقاد النص بمفهومه الجديد، كان لابد وأن يظهر مفهوم جديد يتصل بالنص، ألا وهو(التناص). لفظة "التناص" وهو على وزن "تفاعل"، بما تحمله من معاني المشاركة والتداخل، يعني تداخل النص في نص آخر سابق عليه (جبار، ٢٠٠٧: ١٠٨٠-١٠٨١).

لم تبلور نظرية التناص إلا في منتصف العقد الستيني على يد الباحثة جوليا كريستيفا[2]. فهذه النظرية مدينة في نشوئها وتأسيسها لكل من ميخائيل باختين وجوليا كريستيوا التي هى أول من أبرزت مصطلح التناص إلى الوجود، انطلاقاً من نظرية باختين الحوارية. فيرى باختين أنّ النص لاينشأ من فراغ ولايظهر في الفراغ، بل يظهر في عالم مليء بالنصوص الأخرى، ومن ثم فإنه يحاول الحلول محل هذه النصوص أو إزاحتها من مكانها(تودروف، ١٩٩٤: ١٢١-١٢٤). وأكدت كريستيفا في تعريف لها لمفهوم التناص، أنه "تقاطع عبارات مأخوذة من نصوص أخرى"، أي "كل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى". إذ يبين التناص مواضع التقاطع داخل النص، والمواضع المأخوذة من نصوص أخرى، فيعطي النص كلوحة فسيفسائية من الاقتباسات(فضل، ٢٠٠٢: ١٣٣).

إنّ المبدع، لكي ينتج نصاً، عليه أن يمتلئ بنصوص غيره، بغض النظر عن جنسها ونوعها ونمطها(يقطين، ٢٠٠٦: ٢٤) فعمل التناص يقوم على أساس اعتماد النص الجديد على نصوص أخرى سابقة، علاقة تفاعل وحوار وامتصاص. إنه يعتبر سياقاً أدبياً خلاقاً تلغي فيه الحدود بين الماضي والحاضر في سبيل تجديد الأدب وتطويره؛ إذ التجديد لم يقم في الفراغ والإبداع لا يفارق عما يحيط به وعن تداخل النصوص المبدعة، بل يشترك مع قوة ذهن المبدع، فالكاتب الروائي ليس قوة مطلقة وكذلك لا يمكن أن يكون عمله الفني قوة مطلقة. على هذا، يقوم التناص على العلاقة النصية التي تصل اللاحق بالسابق وترد علاقات الحضور إلى علاقات الغياب. مهما يكن الأمر فإنّ للتناص أنواعاً وله قوانين وآليات وتقنيات(نمر، ٢٠٠٨: ١٠٤). فهو حسب نوعية المادة المستخدمة في النص على أنواع مختلفة، فمنها: التناص الأسطوري والتناص الديني، والأدبي والتاريخي.

٤. حوارية اللغة في روايات إبراهيم الكوني

١.٤. تنوع اللغات الاجتماعية

نسيج الرواية يتركب من الوحدات الأسلوبية اللامتجانسة، التي توجد أحياناً على مستويات لسانية مختلفة، خاضعة لقواعد لسانية متعددة(باختين، ١٩٨٧: ٦٢ ـ ٦٣). هذا هو ما يجعل نص الرواية أقرب إلى نص المجتمع ثم إلى بنيته الداخلية الحميمة، وهذا ما نلاحظه في الحضور الكثيف للعديد من مستويات اللغة اليومية في النص الروائي المعاصر عموماً، وفي أعمال إبراهيم الكوني تحديداً، حيث يمكن أن تعد لغة رواياته لغة وسطى بين العامية والفصحى. لغة مجتمع النص الكوني مزيج من هذين البعدين، وعلى أساس الخصائص الجمالية والدلالية لكل منهما.

لغة العامية في روايات الكوني، لغة تستجيب لمقتضى

1. L'intertextualité
2. Julia Kristeva

Archive of SID
www.SID.ir

وظيفة التواصل والتماس بين الشخصيات، وتؤسس لعلاقة حميمة فيما بينها، وتسهم في الكشف عن السمات والخصائص المحلية للشخصية الصحراوية(عليوات، ٢٠٠٨: ١١٢). هذه اللغة توظف وفق منظور يستعيد خصوصية اللغة اليومية ويؤسلبها حسب الإجراءات السردية التي تمنح له مسوغاته التخييلية(فرشوخ، ١٩٩٦: ٣٥). أما اللغة الفصحى المعقدة في المقابل فهي المتسمة بتعددية الدلالة، وبالرمز، وبالإيحاء، والانزياح، لأن "الكتابة الروائية عمل فني جميل يقوم على نشاط اللغة الداخلي، ولا شيء يوجد خارج تلك اللغة"(مرتاض، ١٩٩٠: ١٠٦).

لغة الكوني المبدع، هي اللغة التي تذوب فيها الفوارق الاجتماعية. ويكون الكاتب على وعي راسخ بأن يستعمل جملةً من المستويات اللغوية التي تناسب أوضاع الشخصيات الثقافية والاجتماعية والفكرية، بحيث إذا كان في الرواية عالم لغوي، وصوفي، وملحد و... فإن على الكاتب أن يستعمل اللغة التي تليق بكل هذه الشخصيات(مرتاض، ١٩٩٠: ١٠٤)؛ على نحو ما يتبين في الأمثلة الموالية:

أ . لغة الراعي: «فتح الراعي القديم فمه الخالي من الأسنان، ودس تحت لسانه عشبةً مجهولةً قبل أن يقول: أعرف هذه العلة يابني. إنها أسوأ من الجدب ومن الوباء. من منا لم يجرب العشق، ولم يعرف أنه علة أسوأ من كل العلل؟»(الكوني، فتنة الزؤان، ١٩٩٥: ٦٠)

ب . لغة الزعيم: «عندما تكلم الزعيم: اعلم أني لا أنوي أن أغير مسلكاً اعتاده مخلوق، كما لم أتدخل في يوم من الأيام بين مخلوق وإله يعبده، ولكني أعترف أني لجمت في حياتي أفراداً كثيرين حاولوا أن يسيئوا إلى الناموس، ويضربوا بنيان القبيلة بالبلبال، فهل في ما قلت ما يعيب؟» (م.ن: ٣٢-٣٣)

ما يميز الخطاب في الأعمال الأدبية المعاصرة عامةً، اعتماده آلية الحوار بشكل غالباً ما يكون بين الشخصيات مكثفاً، وهو ما يقتضيه بناء أحداثها وديناميتها؛ لأن مادته إنما هي أقوال الشخصيات باعتبارها لبنةً من لبنات المحتوى، نقلت لتصير قسماً من أقسام الخطاب(قسومة، ٢٠٠٩: ٣٦٨). فتحتل لغة التداول اليومي من ذلك مكانة متميزة، لما لها من وظائف فنية فاعلة تؤديها، كونها «خاصية تعبيرية وأسلوبية وجمالية... توهم بواقعية السجل الكلامي للشخصيات الروائية، مما يؤكد، ولو على صعيد نظري، الارتباط الوثيق للرواية بالحياة العامة، وبالتراث اللغوي» (عليوات،٢٠٠٨: ١١٢). فهكذا اللغة العامية واللهجات المحلية السائدة تداولها بين عامة القوم من أهله، الميزة الأسلوبية في روايات الكوني:

أ. «عندما شاهد البهلول، انتفض واندفع نحوه كالمجنون: اتفو..ياكلب..الرجال تموت وأنت ترضع من القربة كالمرأة !!» (الكوني، الخروج الأول...، ١٩٩٢: ٩١)

ب . «قام يرقص على رجل واحدة ويغني، ويردد بين الحين والآخر في فرح صبياني: يا ميمون. أنت وغد !! أنت حلوف كبير!!»(نفسه:١٠٠)

صور سردية وصفية مكثفة، ثرية بالملفوظات التي تكشف بوضوح عن حقيقة الطبقة الاجتماعية للشخصية الناطقة بها، والحوار يكشف عن تطابق الأقوال مع الشخصيات الناطقة بها(قسومة، ٢٠٠٩: ٣٦٨) فيمكن القول بأن هذه أساليب تمثيل القول، تكشف عن تعددية صوتية تروم تصوير اللغات المتعددة الناتجة عن هرمية المستوى الفكري والاجتماعي، في شتى أعمال الكوني.

لا تنحصر ميزات اللغة على هذا الحد من التعددية، بل يعد الكوني نموذجاً يكاد يكون بين نظرائه العرب روائياً

Archive of SID

www.SID.ir

متفرداً، بما أنه يفرض لغته التيفيناغ[٢]، لغة أسلافه، فى إبداعاته؛ إما في شكل كلمات متناثرة، مثل: «خس[٣]» (الكوني، الوقائع، ١٩٩٢: ١٢)، «إدبني[٤]» (الكوني، المجوس، ١٩٩٢: ٢٠٨)، «آمغار[٥]» (الكوني، واو الصغرى، ١٩٩٩: ٢٩)؛ أو في شكل جمل ونصوص: «أدارن ويلني طيلمين دمناس، أدارن وونلى آر تيعراس، الرزغن ديدغ أسوغدن دونفاوس[٦]» (الكوني، المجوس، ١٩٩٠ :١٢٣)؛ فإنها بجانب ما تضفي على النص تنوعاً لغوياً، تدخل فيه من المقاصد الفنية والجمالية.

٢.٤.تشخيص لغة الصحراء

"إن الإستتيقي[١] الذي يبنى أسلوب روايات الكوني يتبلور فى استخدامه لغة الصحراء. فالصحراء هي إيديولوجيا الكوني التي لايزال يذود عنها في أعماله. للصحراء في أعمال الكوني صوتها، بل لها لغتها الصوفية التي لا يفهمها كل محاوريها، فشأن الصحراء في علاقتها مع الكوني شأن غيرها من شخصيات أخرى عديدة ومختلفة معه، من حيوان ونبات وجماد وسواها، على نحو ما يتجلى بوضوح في هذه الصورة الفنية، التي تبدي عن سر آخر من أسرار الصحراء العجيبة، التي ظل الكوني شغوفاً للكشف عنها بطريقته، أين يقف القارئ على مشهد حواري غير مألوف، طرفاه جان وحجر، نقل الراوي عنهما تحاورهما باللغة التي أراد، بالشكل الذي أبدى على أنّ لكل مخلوق في صحراء الكوني دوراً حضارياً فاعلاً يؤديه، دون أن يستثنى من ذلك حتى الحجر.

"لن ينسى آكا إلى الأبد الطاعة والمرونة والاستجابة والترحيب الذي تلقاه من *الحجر المقس* بمجرد أن بدأ في تنفيذ الوحي الإلهي. وقد *سمع الحجر* يقول له بهمس خفي أنّ الضياع كتب على كل شيء في الصحراء ما لم يحفر في الحجر. وقد فهم فيما بعد أن هذه وصية من الأسلاف، لأنه وجد نصاً منقوشاً بلغة [التيفيناغ] يعيد نفس الحكمة" (الكوني، الوقائع ،١٩٩٢ :٤١)

فالظاهر، أن بلاغة النص الروائي الكوني تبني أساساً على بلاغة تشخيصه الأدبي للصحراء بكل مكوناتها، حيث تتحوله إلى شخصية أدبية متخيلة، فاعلة(بوشوشة، ٢٠٠٧: ٣٢). إذن يمكن القول بأن يعتبر الكوني هو الروائي العربي الوحيد الذي كتب عن الصحراء «نصوصاً يصعب تصنيفها في جنس من أجناس الأدب المعروفة»(المودن، ٢٠٠٩: ٦٥)، فكتابه "ديوان النثر البري" يؤكد ذلك؛ فهو عبارة عن نصوص سردية لا تنضوي تحت صنف أدبي معين. هذه النصوص السردية تهتم باستنطاق كائنات الصحراء، مثل الرياح، والمطر، والسيل، والصخور، والضباب، إلخ ، بنوع من التعاطف الصوفي الذي يستبطن وعي الأشياء الجامدة(الغانمي، ٢٠٠٠: ١٢٧)، بجانب محاورة الجمادات، والنباتات، والحيوانات الصحراوية؛ فمن محاورة النبات:

"طلع البدر واستدارت الترفاسة السحرية في العراء المكشوف. عاريةً... استمرت تعلن عن نفسها وتنتظر القطاف. أين الرعاة؟ أين الغزلان؟ أين الفئران؟ أين الطيور البرية؟ الصحراء مهجورة. الصحراء مهجورة منذ زمان. الرعاة هاجروا إلى المدن وتطاولوا في البنيان. الغزلان أبادها المغامرون ببنادق الخرطوش، وسيارات اللاندروفر. الفئران ابتلعتها الأفاعي. الطيور أقلعت إلى الشمال في هجرتها الجماعية"(الكوني، ديوان النثر البري، ١٩٩١: ١٣)

توجد نباتات الصحراء الكثيرة في أعمال الكوني، حيث يستثمر في إشراكها مع من وما حولها من موجودات هذا العالم الرملي القفر الفسيح، وبحنكة فنية عالية، للمساهمة في نسج خيوط مقاطعه الإبداعية الحوارية العديدة، رغم ما في

1. L'esthéticien

Archive of SID
www.SID.ir

ذلك من الصعوبة أسلوبياً وفنياً في إحالة الكلمة لمثل هذا النمط من الشخصيات، وهو مما يعد عند البعض "مصدر اضطراب"(انظر: قسومة، ٢٠٠٩ :٣٦٥). إنه لجميع ما في الصحراء من مكونات جامدة أو حية، لغات في روايات الكوني؛ فإن للحيوان في ذلك كله، الحظ الأوفر في إثراء لغة الخطاب، وتعدد الأصوات؛ وخصوصاً الجمل، والغزال، والماعز، وسواها من الأصناف الحيوانية. هنا توجد أصوات عديدة ولغتان مختلفتان، وهذا صنف آخر من أصناف التعددية فى الصوت واللغة؛ فبإقحام الكاتب فصيلة الحيوان ضمن شخصيات النص الفاعلة، تظهر لغة جديدة، إنها لغة المهري "الأبلق" الجريح الذي يشتكي "بصوت فجيع..أليم. آ. آ. آ. آ"، والتي يحكي فيها الراوي: "...تصاعدت الرغوة حول شفتيه، ثم بدأت تتساقط على الأرض في قطع كبيرة منفوشة، من الجسد الملتهب تفصد العرق، لم ير عرقاً حاراً وغزيراً على جلد الإبل كما رآه يومها، بدأ ينتفض ويحاول أن يحرر قوائمه من القيود. رغى بصوت فجيع..أليم. أحس "أوخيد "بالوخزة في قلبه. صاح بلا وعي وهو يسارع ويمسد على جسده: اصبر. اصبر. الحياة هي الصبر، ألم نتفق؟ لو صبرت نلت الشفاء. أعرف أن الجن قوي، ولكن الصبر أقوى من الجن، ولكن المهري لم يصبر. اشتكى بصوت عال، طويل، أليم، آ. آ. آ. آ...»(الكوني، التبر،١٩٩٠: ٣٨. ٣٩)

تحقق لغة الحيوان في إبداع الكوني الأدبي ينوي غايات جمالية محددة، سنامها إثارة الدهشة، والغرابة، والعجيب، والفتنة، والإلغاز(بوشوشة، ٢٠٠٧ :٣١)، ولفت انتباه القارئ وإثارة إعجابه. مثلما يبرز التعدد اللغوي، باستخدامه لغة الجن. فيظهر الجن في أعماله شخصية فاعلة، لا تقل أهمية عن الشخصيات البشرية، نصيبه من التحاور معها وافر، والتعامل فيها بين العالمين من أقوى ما فيها من الجماليات الفنية المغرية للمتلقي. وذلك لأن الصحراء التي اتخذها فضاءً مفتوحاً لأعماله، توحي على ما يبدو بحضور موجودات ساكنة متنوعة من عالم الخفاء لا نهاية لها.

"يخيم على الصحراء صمت القبور يرتل الجن آيات من كتاب الميلاد. تخشع الملائكة، وترقص الحوريات في الجنات ..."(الكوني، ديوان النثر البري، ١٩٩١ :١٠)

مثلما يقول في موضع آخر مؤكداً قناعته بهذه الساكنة التي لها ما لعالم البشر من الغيرة في الذود عن حدودها، "قبل ايدينان وباع روحه. جاءت قبائل الجن وسكنته. وضعت على صرحه المربع المهيب عمامة أبدية من الغمام، وحرمت على غبار القبلي الاقتراب من وطنها الجديد"(الكوني، المجوس، ١٩٩٠ :٥٦)

ولقد استطاع إبراهيم الكوني ترويض الكثير من قرائه على رؤية ما لا يرى، وسماع ما لا يسمع، بل، ومحاورة ما لا يحاور، مثلهم في ذلك مثل شخصياته الإنسية في كثير من أعماله، التي جعلها تألف العيش مع شخصيات أخرى، ومن عالم آخر، عالم الخفاء. "لعل استعادة أساطير أهل الصحراء، وتحليل تشكلها في وعي الجماعة، والتبادل بين الأسطوري والواقعي في أصالة مستمرة دائبة بين عالمين يتوحدان في عالم واحد، هو ما يمنح أدب إبراهيم الكوني سموه وطابعه المتميز"(الكوني، الوقائع، ١٩٩٢: ظهر الغلاف)؛ وذلك مما يحسب بين الدارسين الفاعلين السمة الأقوى في طريق التمييز.

٣.٤.التعالق اللغوي (التناص)

ثقافة الكوني من خلال أعماله ثقافة متنوعة غزيرة، يشهد له بها كل من أتيحت له فرصة لقراءتها، أو قراءة بعضها على الأقل؛ وفيها تراه يسعى دوماً ليلم شمل شتات واسع، تجتمع فيه تقاليد الأسلاف، والأساطير المحلية، والتصورات الدينية،

Archive of SID
www.SID.ir

وصولاً إلى إرث رموز الآداب الأوروبية القديمة، إلى جانب إيحاءات الأدب العربي؛ حيث يقوم بتوظيف عناصر واقعية بمناخ رمزي، مازجاً العناصر السوريالية بالتصورات الخرافية والحكائية والأسطورية.

١.٣.٤. التناص الديني

إن ما للكوني من الإلمام بالثقافة الدينية وشدة التأثر بها، يجعله في شتى إبداعاته كثير الرجوع للاستشهاد بالنصوص الدينية؛ ومنها الآيات القرآنية والقصص الدينية، حيث يقتبسها حسب ما ينوي في رواياته. في إحدى مناصات رواية "نزيف الحجر"[٧] الداخلية على سبيل المثال، يفتتح الكوني عمله الروائي بالآية القرآنية الكريمة، ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾(الأنعام، الآية ٣٨)، ويتبع هذا الاقتباس القرآني باقتباس من العهد القديم، يدور حول قتل قابيل أخاه هابيل:

"وحدث إذ كانا في الحقل أن قابيل قام على هابيل أخيه وقتله، فقال الرب لقابيل: أين هابيل أخوك؟ فقال: لا أعلم. هل أنا حارس لأخي؟ فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض. فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض.(العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الرابع)"(الكوني، نزيف الحجر، ١٩٩١: ٥) .

يجعل الكوني اقتباسه من الآية القرآنية حول الدواب والحيوانات متزامناً مع قصة عن أولاد آدم وما يفعل الإنسان من الأعمال الحيوانية في صميم روايته، ولعل الذي يبتغيه الكاتب هنا، "أن الحيوانات والطيور تعيش في مجتمعات شبيهة بالمجتمع البشري، فهي على غرار البشر، تعيش في جماعات، وتؤسس حياتها على نظام معين"(شنوفي،٢٠١١: ٢٥٣).

توظيف مثل هذه التناصات شائعة مألوفة في شتى روايات الكوني، ويلاحظ عليه عند توظيفها أنه كثير التنويع في استعمالها، لترد هذه النصوص على وجوه مختلفة، فهي تارة نصوص كاملة تامة، وتارة ناقصة، ليكتفي الكاتب في توظيفها تارة ثالثة بمجرد التلميح إليها من خلال معانيها، وسواء في ذلك عنده أكانت هذه النصوص من القرآن الكريم، أم من شعر، أو حكم قديمة، وأمثال وغيرها.

إحدى أقوى سمات أسلوبه المميزة، الحضور المكثف للتراث الديني؛ لأن التراث الديني في قسم منه، هو تراث قصصي. لذا وجد بعض الروائيين أن تأصيل الرواية العربية يقتضي العودة إلى الموروث السردي الديني، والإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة،كما أنه يشكل جزءاً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإنّ أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياه(رياض، ٢٠٠٢: ١٣٨)؛ وفي نصوص القرآن الكريم ما لا يمكن الاستغناء عنه، مما يرسخ هذا التوجه ويؤكده، على نحو ما في المثال التالي:

".. فرفع المعلم يديه إلى السماء كأنه يكبر للصلاة، ثم أعلن في وجد درويش: هذا أنسب مكان لمن ينشد العزلة، ويسعى لاكتشاف كنوز الروح، وترويض النفس الأمارة بالسوء"(الكوني، الخسوف (الواحة)، ١٩٩٧: ١٤٣)

تعاضد في تكوين الفقرة السابقة عدد من الصور السردية المتلاحمة، وظفت فيها لغتان اثنتان؛ لغة الراوي من جهة، ولغة الشخصية الحاضرة هنا من جهة ثانية، وهي اللغة التي احتاجت فيها هذه الشخصية إلى ما يقوي تدخلها في تحاورها مع من تحاور، وما يضفي عليها مسحة جمالية تسمو بها عن رتابة الكلام، أين وقع الاختيار من النص القرآني على "النفس الأمارة بالسوء"، وهو جزء من الآية الكريمة: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم

Archive of SID
www.SID.ir

ربي﴾. (يوسف،٥٣)

يمضي الكاتب في روايته هذه وفيما سواها من الروايات الأخرى محافظاً على هذا النسق الأسلوبي، وعياً منه بضرورة بلوغ مقاصده، فلا يكاد القارئ ينهي الصفحة الواحدة وهو يقرأ للكوني، فيقابل بإقحام نص قرآني ما، حتى يواجه بنص قرآني آخر تام أو ناقص، موظف بإحكام عال، وبفنية متميزة، توهم وكأن الأسلوب واحد. الأمر الذي يدل يقيناً على أن أصل النص في أي خطاب كان، و أياً كان تضلع صاحبه، لهو في حقيقته تعاضد جملة متشابكة من النصوص العديدة السابقة له أو المعاصرة، التي قلما يقدر المبدع أن يتجاهلها، حتى ليكاد القارئ ليجزم أنها فرضت عليه نفسها فرضاً، فلا مجال له حينئذ ليتخلص منها، وسواء في ذلك أنه أراد أم لم يرد؛ و في هذا المثال ما يؤكد ذلك:

«سدت السيدة أنفها أيضاً، ووجهت إلى باتا سؤالاً ماكراً عما ستفعله الآن بعد غياب حارسها الأمين، فأجابتها باتا بكل جرأة أنها سوف تقيم عندها إلى حين يقضي الله أمراً»(الكوني، الخسوف(الواحة)،١٩٩٧: ٢٣٠)

لعل ما في المناص من القوة الخفية، والفائدة الجمة مما أدركه الكاتب، فيعيد الكوني توظيفه مرات عديدةً، وفي عمل واحد؟! إذ يقول:

«دخل المدينة يهش جملاً وناقةً هما كل ثروته! سأل المارة كيف يمكنه أن يتخلص منهما، فدلوه على السوق»(الكوني، الخروج الأول..،١٩٩٢: ٥٣)

ومن الأمثلة الكثيرة التي اكتفى فيها بمجرد التلميح إلى الآية دون ذكر جزء صريح منها، ما جاء في هذا المثال على لسان هذه الشخصية، في حوار مع مرافق لها، يبدو مليئاً بعبارات التأنيب، مشحوناً بنبرات المؤاخذة، إلا أن فيه من التعدد اللغوي ما يراد به إثراء اللغة المستعملة بينهما، وجاءت الفقرة تداولاً في التدخل بينها وبين الراوي ما يحيل على قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم (الفاتحة،٦)﴾، على ما يلي:

"هجع النجع، فخرج الزعيم لتشييع الرسول... توقف فجأةً وباغت ضيفه: بلغني أنكم ارتددتم عن الدين وضللتم الصراط"(الكوني، المجوس،١٩٩٠: ٤٦)

هذه الخاصية الأسلوبية قد تحظى بحضور متكرر وتأثير جلي؛ ففي هذا المقطع الحواري ما يرسخ رأي "باختين" الذي يرى أنّ "الرواية هي التنوع الاجتماعي للغات، وأحياناً للغات والأصوات الفردية تنوعاً منظماً أدبياً"(باختين، الخطاب الروائي،٣٩) وجاء النص في هذا الحوار على ما يلي:

«لم نفعل ذلك إلا لنتقي شرّ الريح. القبلي لعنة تطاردنا يا سيدنا الزعيم، والله على ما أقول شهيد.

هذا فأل يجلب السوء في عرفنا. إذا طلبت النجاة من الريح أو المطر أو الشمس بالبنيان صنعت لنفسك حبساً دون أن تدري. تهرب من شر صغير فتقع في شر أشر.

لا بد من فعل شيء.

الدين نفسه أدان العناد والمعاندين والله قال إنهم من إخوان الشياطين..»(الكوني، المجوس، ١٩٩٠: ص٤٢-٤٣)

ففيما دار من حوار في هذا المقطع ملفوظان اثنان مستمدان بشكل ناقص من القرآن الكريم، فأصل الملفوظ الجزئي الأول آيات عديدة من كتابه الكريم، منها قوله جل علاه: ﴿والله شهيد على ما تعملون(آل عمران٩٨)﴾، ومنها قوله أيضاً في موضع ثان: ﴿وأنت على كل شيء شهيد(المائدة١١٧)﴾، وأما الأصل فيما أراد السيد أن يستشهد به في تحاوره مع الرجل عن شأن المبذرين ومنزلتهم، قول البارئ تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين (الإسراء،٢٦)﴾، فالواضح أن لهذين الملفوظين صلة بموضوع

Archive of SID

www.SID.ir

النقاش واضحةً، إذ جاء الأول منهما على لسان الضيف، وهو رجل من العامة، وجاء الملفوظ الثاني على لسان سيد القوم المجاور له، وفي ذلك من جهة ثانية إشارة واضحة قوية إلى أن هذا الموروث الثقافي عند الطوارق –أهل الصحراء– لم يكن في يوم من الأيام حكراً على طبقة في هذا المجتمع دون طبقة أخرى. تكشف هذه الفقرة في وضوح كذلك عن عين ما أراد "باختين" في رأيه السابق، فثمة من التنوع الاجتماعي ما ينبئ القارئ بتنوع لغوي وصوتي ثابتين، مادامت الشخصيتان المتحاورتان من فئتين اجتماعيتين مختلفتين، إذ من ذا الذي يدّعي أن ينزل رجل من عامة القوم منزلة سيده فتكون لغتهما لغة واحدة؟! تلك إذن مهمة الكاتب المقتدر الذي له من المعرفة ما يجعل من تعدد هذه اللغات في عين القارئ لغةً واحدةً، تؤكد بأن "خطاب الكاتب وسارديه، والأجناس التعبيرية المتخللة، وأقوال الشخوص، ما هي إلا الوحدات التأليفية الأساسية التي تتيح للتعدد اللساني الدخول إلى الرواية، وكل واحدة من تلك الوحدات تقبل الأصداء المتعددة للأصوات الاجتماعية، وتقبل اتصالاتها وترابطاتها المختلفة التي تكون دائماً في شكل حوار قلّ أو كثر"(باختين، ١٩٨٧ :٣٩).

لا بد من الإشارة هنا إلى أنّ الكوني قد وظف في المقابل العديد من الآيات كاملة، على الشكل الذي جاءت عليه روايته "التبر"، التي استغل فيها آيات كثيرة، لها من الصلة الوطيدة ما يجعل منها شواهد قوية، لما يتناوله موضوع النص، ومن ذلك ما يستطيع القارئ أن يقف عليه في الجزء الثامن عشر من الرواية(انظر: الكوني، ١٩٩٠: ١١٠)، التي يدور موضوعها حول ذبح بطل الرواية "أوخيد" لمهره، وما تعرض له نتيجة لذلك من عقاب لا يطاق، فكان مما رآه مناسباً لبناء عمله، أن يفتتح هذا الجزء بالآية الكريمة التي تتكلم في وضوح ما بعده وضوح، عما لحق بقوم النبي "صالح" من العذاب لذبحهم الناقة التي حرم الله عليهم ذبحها (انظر: هود، ٦٤).

٢.٣.٤. التناص الأدبي

تزخر أعمال الكوني برصيد آخر من الملفوظات الأدبية شعراً ونثراً، في شكل مناصات تجعل منها فسيفساء أسلوبية أكثر ثراء، وتكشف للقارئ عما لهذا الكاتب من سعة الاتصال بالرصيد الأدبي غربيه وشرقيه، قديمه وحديثه؛ وفي ذلك ما يكفي من الدلالة على السعي عن طريق هذا التعدد اللغوي إلى إحالة اهتمام قرائه على ما بين هذا وذاك من تكامل وانسجام. إنّ الكوني يعي الوعي الراسخ ضرورة مراعاة تطلعات القارئ، وانجذابه بما يقرأ إلى كل ما يحتويه النص من تنوع، إن على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون، ولذلك فإنّه "ينتج نصه ضمن بنيات نصية أخرى"(باختين، ١٩٨٧ :١٥٢)، تؤدي من هذا الغرض ما يمكن أن تؤديه على طريقة ما يطعم به عمله هنا، أين يتطابق ملفوظ المناص إلى حد التماثل مع مضمون محتوى(شنوفي، ٢٠١١: ٢٥٦)، ما يرد في هذه الصورة السردية البليغة؛ أين يتدخل الراوي على لسان شخصية "السعادي بك"، في أسلوب غير مباشر، إذ يقول: "افترست القشعريرة كل من سمع هذا التعليق الوحشي الذي استمر يردده في مجالسه دون أن يشعر بذرة خجل! ويروق له أن يمهد لأي عمل انتقامي يزمع القيام به ضد الفلاحين بقوله: هؤلاء الملاعين. إنهم من سلالة العبيد الذين قال عنهم الشاعر. لا تشتري[٨] العبد إلا والعصا معه..."(الكوني، الخسوف، (الواحة)، ١٩٩٧: ١٤٢)

والواضح أنّ الأصل فيما يحيل على قول أبي الطيب المتنبي بدل ما أنهى به البيت، قوله: "لا تشتر العبد إلا والعصا معه إنّ العبيد لأنجاس مناكيد"(المتنبي، الديوان،

Archive of SID
www.SID.ir

١٩٨٦ :٢٧١)

تتكرر هذه الظاهرة الأسلوبية فيما لا يحصى من المواضع، يوظف الكاتب فيها كل ما يراه من أصناف المناصات المتنوعة ملائماً للموضوع، ولمسار نمو خطابه وتقدمه، غايته أن يجعل من القارئ قارئاً يشعر بدقة اختيار هذه المناصات ودلالاتها بما يبني في النص واقعاً موازياً للواقع، ويحول موضوع الرواية إلى تيمة كونية، بخلق شخوص وأحداث تعضدها دلالة المناصات المنتقاة دون تحريف أو محاكاة ساخرة(شنوفي، ٢٠١١ :٢٥٦).

وإذا ما لوحظ في المثال السابق وهو في أعمال الكوني كثيرة جداً، أنّه قد اكتفى بالتلميح إلى بيت ما من الشعر تارة، وبشطر من البيت دون الشطر الثاني تارة أخرى، فإنّه كثيراً ما يعتمد تقنية الاستشهاد بالبيت الشعري كاملاً، وسواء أكان هذا الشعر باللغة العربية أم بالتيفيناغ، لغة الطوارق، وفي ذلك تعدد لغوي آخر، في أسلوب مختلف يكشف عما في ساكنة الصحراء من تنوع اجتماعي، ومن ذلك هذان البيتان بهاتين اللغتين المختلفتين: "الظل أثر الروح إذا تبدى والأثر ظل الجسد إذا تستر"(الكوني، صحف إبراهيم، ٢٠٠٥: ٩١)

"أوكلان مان ن مان، ن مانين إدمتغ إد أوماسغ غاسين[٩]"(الكوني، المجوس، الجزء الثاني، ١٩٩٢: ١٧٥)

في هذا الاتجاه، وعلى هذا النهج ظل إبراهيم الكوني يبدع أعماله، ينقب من حوله عن كل سر دفين مهما كان، و "يلهث لاكتشاف ذلك الواقع المستتر الرمزي الذي يخفيه الواقع الظاهري، الواقع اليومي، وعندما يعجز؛ لا يجد غير الفرار إلى التاريخ وهو آلية فنية أخرى"، و"مسألة نظرية خاصة بالرواية...[لـ] أنّ الرواية كما يفهمها(ميخائيل باختين) هي جنس هجين، وليس جنساً نقياً صافياً، قوامه التنوع والتعدد في أسلوبه وتصوره للعالم الذي يبنيه، فقد أخذ من أشكال أدبية عديدة مختلفة ومتنوعة"(الباردي،١٩٩٦: ٥٧).

٣.٣.٤. التناص التاريخي

تذهب آراء نقدية كثيرة إلى أنّ الصحراء التي ظل الكوني ملتزماً بالكتابة في كنف ما يسمها من أسرار، قد جعلت منه مؤرخاً أكثر مما عرف به مبدعاً أديباً، ولعل العديد ممن أثاروا في حق أعماله مثل هذه الملاحظات لم يصدروا أحكامهم من فراغ، كونه يستند في جل ما يريد الكشف عنه من هذه الأسرار إلى ما تختزنه له ذاكرته من أحداث تاريخية، يبرر بها ما يثيره من قضايا يريد معالجتها حيناً، مركزاً على عنصري "الوحدة والانسجام، وهما معاً ضروريان لإنتاج الدلالة والمعنى بمختلف أبعادهما"(يقطين، ٢٠٠٦ :١٩) حيناً آخر، بما أنّ اللجوء إلى حرم التاريخ يكمن في سر التاريخ، وسحر التاريخ مستعار من ينابيع الوطن الأسطوري، و«الوصول إلى ينابيع الوطن الأسطوري هو غاية المبدع»(الكوني، صحرائي الكبرى، ١٩٩٨ :١٣٧) فكأنّما يريد أن يقول بعد هذه السلسلة التبريرية كلها أنّ العلاقة الوطيدة التي تربط بين التاريخ والرواية، تتأتى من طبيعة الفن الروائي الذي ينهض على تصوير الواقعي والمعيش تصويراً فنياً تخييلياً(رياض، ٢٠٠٢ :١٠١).

تأكيداً لهذا التنظير عملياً، يستطيع قارئ روايات الكوني أن يقف على حقيقة ثابتة، ترسخ ما صرح به هو نفسه في موضع آخر يقول: "لا يلجأ الروائي إلى التاريخ بنية حسنة، لأنّ التاريخ في يد المبدع دائماً أداة تقنية"(السابق، ١٩٩٨ :١٩٧)، يقصد توظيفه بطريقة أخرى، خلافاً للطريقة المألوفة بين المؤرخين، أي على الطريقة الجلية التي تظهر فيما يلي من النماذج السردية، وفي المثال التالي ما يحيل القارئ على حقبة التواجد العثماني بصحراء إفريقيا، وبصحراء شمالها تحديداً،

Archive of SID
www.SID.ir

مثلما يكشف عن سلوكهم القمعي المشين الذي أضحى متفشياً بين حكامهم، منتهجاً في ثقافة تعاملهم بصرامة، وبقسوة شديدة ضد كل من يخالفهم رأيهم، إذ يقول السارد في هذا التدخل: "أما قصة تلمذه على يد المعلم القادم من بلاد قنشيط فيرجع تاريخها إلى العهد العثماني، عندما كانت واحات الصحراء الكبرى منفى مناسباً اتخذه سلاطين الإمبراطورية في الأستانة للتخلص من منافسيهم على السلطة... في ذلك العام، دفع السلطان إلى طرابلس بفريق جديد من المنفيين الذين حامت حولهم الشبهات في التآمر على العرش، ولما لم تثبت التهمة، فقد نجت رؤوسهم من المقصلة، وكان المنفى إلى الصحراء الكبرى في انتظارهم"(الكوني، الخسوف، (الواحة)، ١٩٩٧: ١٤٠)

وفي المثال التالي، يفتح الكوني صفحة تاريخية أخرى، لحقبة من حقب تاريخ بلاده، لا تقل ظلماً عن سابقتها، يظهر فيها الكاتب ما آل إليه المجتمع الليبي المحافظ من ظلم وتجاوزات، وما عاث فيه الإيطاليون من فساد، وانتهاك وتدمير، وهو من يعرف يقيناً "أن ما يكتنف التراث غير المكتوب، من غموض هو الذي يوفر للمهتم به لذة المعرفة المتأتية من اكتشاف الحقيقة الكامنة بين الراويات المتعددة، والنقوش المرسومة على وجوه الحجارة، وجدران الكهوف، واللوحات القديمة"(م.ن:١٢٣)، وفي هذا يسرد الراوي هاتين الحادثتين اللتين يبدو أنهما لم تكونا الأوليين ولا الأخيرتين في هذا المجتمع العربي المسلم، مثلما في غيره من المجتمعات العربية الأخرى، فيقول في الأولى متحدثاً عن الاحتلال الإيطالي: "يقال في الواحة أن زهرة هي ابنة غير شرعية لضابط إيطالي عين حاكماً عسكرياً للواحة عقب استسلام فزان وانسحاب المجاهدين إلى عمق الصحراء نحو غات..."(الكوني، الخسوف، (الواحة)،١٩٩٧: ٢٥٣)

ويقول في الثانية متحدثاً عن احتلال كل من الألمان والإنجليز: "زوجتي أيضاً ماتت عند هجوم الألمان الثاني على طبرق بعد أن احتلها الإنجليز ثلاثة أيام. عدت من الصيد، فوجدت بدل البيت أنقاضاً يتصاعد منها الدخان، ومن يومها لم أعد إلى طبرق."(الكوني، الخروج الأول..،١٩٩٢: ٧٤)

وفي المجوس ما يجعل القارئ يطلع عن كثب على صفحة تاريخية أخرى أقدم، تحيله على أن صحراء الكوني ظلت على الدوام فضاءً مفتوحاً على مصراعيه لكل الوافدين، بمن فيهم الفاتحون الأوائل، "بلاد... فتحها المرابطون، ونشروا الدعوة في الأدغال بين قبائل الزنوج، ثم جعلوا من تينبوكتو عاصمةً للصحراء وما تبعها من أجزاء القارة التي شملتها الفتوحات..."(الكوني، المجوس، ١٩٩٠ :٧٩). وإذا كان الكوني كما يلاحظ من خلال المثالين السابقين حريصاً على ألا يدع من تاريخ الصحراء حيزاً زمنياً، ولا حدثاً معلوماً أو غير معلوم، إلا وقد اجتهد لإيجاد منفذ مناسب في عمل ما من أعماله، يولجه فيه من خلاله، فهاهو يذهب في هذا الصدد إلى أبعد ما يمكن تصوره، يصطنع حفرياته المدهشة في جيولوجيا المجتمع الباردة البعيدة، ويصطحب معه قيثارة الشاعر وفأس الروائي في الآن ذاته، إنّه بذلك يعيد بناء ذاكرة الصحراء بشكل إبداعي مذهل(فضل، ٢٠٠٢: ١٢) وهو المثقف الذي ظل مقتنعاً بالثراء المتنوع الذي تحتويه صحراؤه، ساعياً باستمرار إلى ربط الحاضر بالماضي، وإيصال المستقبل بالحاضر، وذلك في شتى أعماله هاجس من أقوى هواجسه، فـ"رغم كل ما عرفته البشرية من تطورات على مستويات عدة، ما زال الإنسان مشدوداً إلى فاعلية أجداده الأوائل، وإلى روح خالقه على الأرض"(شنوفي، ٢٠١١: ٢٦٠).

Archive of SID

www.SID.ir

٤.٤.٤.التناص الأسطوري

الأسطورة تعتمد عادة تقاليد العامة وأحاديثهم وحكاياتهم، فتتخذ منها عنصراً أولياً ينمو مع الزمن بإضافات جديدة، حسب الرواة والبلدان، فتصبح غنية بالأخيلة والأحداث والعقد. إنها تفسير علاقة الإنسان بالكائنات، وهو آراء الإنسان فيما يشاهد حوله في حالة البداوة، فهي إذن مصدر أفكار الأولين، وملهمة الشعر والأدب عند الجاهليين.

يظهر من خلال قراءة جل أعمال إبراهيم الكوني، أنه الروائي العربي الأكثر ولوعاً، والأقوى افتتاناً بالأسطورة، ولعل الدافع إلى توظيف الأساطير في رواياته هو اهتمام الكاتب بتصوير المجتمع الصحراوي بنظامه القبلي الذي يشبه النظام البدائي، بوصفه تربة خصبة لنمو الأساطير(رياض، ٢٠٠٢: ٢٢٢)؛ إذ تتفق دراسات كثيرة على أنّ أعمال إبراهيم الكوني نصوصاً وروايات تتميز عما سواها من الأعمال الروائية الأخرى العديدة، «باشتغالها على الأساطير المنقولة والمبتدعة، حتى ليتحول النص إلى إطار أسطوري»(سنقوقة، ٢٠٠٨: ٢٠٧). إنّ المتأمل في نصوص الكوني المختلفة، ليشعر كما لو أن هذا الكاتب الروائي يتكلف في توظيف الأسطورة تكلفاً مكشوفاً، غير أنّه يرسم صورة، كان يصدر عن إيمان بأنّه يقرر حقيقة.

إحدى هذه الأساطير، تشكل من خلال مضمونها صورة سردية بليغة، معبرة بها على لسان راويه عن مدى تعلق أهل الصحراء بأرضهم، يصدون عنها العدو، ويذودون عن حرمتها، فيقول: "زارا الجبل، ودارا حول مغارة العراف، وتراشقا بالجماجم القديمة، ونكشا بعض العظام من مقابر الأولين المنتشرة عبر السفح بحثاً عن الذهب، وسرد فضل الله الأساطير التي تقول أن الجبل مشيد بجثث القدماء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل إنقاذ الواحة من استعباد الغزاة على مر العصور، وهو يقف دليلاً على عشق أهل الواحة التاريخي للحرية، حتى أن بعض العقلاء اقترح أكثر من مرة إقامة تمثال على رأس الجبل يطلق عليه اسم(تمثال الحرية)، ولكن وجود مأوى السحر مهمدو فوق القمة حال دون تنفيذ هذا الاقتراح"(الكوني، الخسوف، (الواحة)،١٩٩٧: ٢٤٨)

إنّ اقرب ما يمكن استنتاجه فنياً من خلال هذه البنية النصية، انطباقها الكامل مع ما توصلت إليه بعض الدراسات، التي ترى أنّه "يمكننا التمييز بين خلفيتين نصيتين: الأولى ثابتة ومنغلقة على ذاتها، وتعيد ما ترسب فيها من قيم نصية مستقاة من البنية النصية الكبرى، والثانية متحولة باستمرار ومنفتحة، تحاور القيم النصية أياً كان نوعها، وتسعى إلى تجاوز القيم والانغلاق"(يقطين، ٢٠٠٦ :٥١). تتجلى الأساطير فى إبداعات الكوني، منقباً عما يتسق وعمله، ويؤدي به في النهاية إلى مبتغاه، في رحلة يعود فيها إلى الداخل، أكثر من مجرد عودة للذكرى، تتحول إلى حالة من النشوى يستدعي لها ما تحمله له ذاكرته، وما يتوفر لها من معارف ضاربة في القدم إلى أقصى ما يمكن تصوره (النويصري، ٢٠٠٨ :٢٤)، لا يبالي في ذلك أكانت الأسطورة قديمة أم جديدة، عربية أم دخيلة، وإنما يلزم الفهم والتمثيل، فهم الموقف المعاصر وإذابته في شبيهه الأسطوري ليكون الكل الذي يعطي الإحساس بالصدق التلقائي. من النماذج الأسطورية الحية التي ارتأى الكاتب أنّها تليق لأن تكون مثالاً لهذا الطرح، ما ورد عن الزنوج في رواية المجوس، وعما عرفوا به من سمات الظلم، والغدر، والسطو على حقوق الغير، فقد "ورد في الأساطير القديمة أنهم أشر من الجن، وينافسون وحوش بني آوى في الغدر. ما أن يبلغ الولد العاشرة حتى يقيموا له طقوس الرجولة، ينفصل بعدها عن أمه وأبيه، يتعلم الشك، ويتوقع الخيانة من أقرب الأقربين، يهجر البيت ويذهب إلى السهول والغابات ليتدرب على النوم واقفاً، يتدرج في التمارين من الاستناد على سيقان

Archive of SID

www.SID.ir

الأشجار، أو الاعتماد على صخور البر، إلى أن يقف على قدميه، ويتمكن من أخذ كفايته من النوم دون مساعدة"(الكوني، المجوس، ١٩٩٠: ١١٧-١١٦).

في صحراء الكوني أصناف من الحيوانات، يحسبها الكاتب من أهم مكونات هذا الفضاء المقدس، وهي عنده مخلوقات مقدسة بدورها، مثلها مثل ذرات الرمل، وحبات نبات الترفاس، ولثام الرجل الطارقي وغيره، فلا غنى للحياة في الصحراء من دونها، ولا مجال للمجازفة في المساس بحرمتها، فما من طائر أو حيوان أو زاحف من الزواحف عبر تضاريس جغرافيا هذه الأرض، أو عبر شتى أحقاب تاريخها، إلا وقد نسجت له في ذاكرة الطوارق أسطورة تخلده وتقدسه، ولذلك اقترنت نصوصه بما توارثته عنها الأجيال المتعاقبة من أساطير. فقد تبنى الكوني في مجمل رواياته رؤية تمجد الطبيعة الصحراوية، والحياة البدائية، وتدين بالمقابل الحضارة المعاصرة، وتعري الأساس الذي بنيت عليه، وهو حب المال، وتدمير الطبيعة(رياض، ٢٠٠٢ :٢٢٣). وفي عمله(الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية)، وفي لوحة عنوانها(الأفعى تقتفي أثر قاتلها)، يورد الكوني أسطورة جاء فيها: "إذا قتلت أفعى وأهملت أن تنزع رأسها، جاءتها بقية الأفاعي بعد أن تمضي مباشرةً لتعيد لها الحياة وتمضي تقتفي أثرك حتى تقتلك أينما كنت... هكذا يقول الطوارق"(الكوني، الخروج الأول ..، ١٩٩٢ :٦٠)

وعن الغزال في اللوحتين التاليتين، يريد أن يرسخ فكرة الكف عن إبادته، واجتناب تدمير الطبيعة وما تحتويه، وتلك عند الغزاة الغربيين سمة ذميمة جاءوا بها إلى الصحراء؛ فآلى الكوني على نفسه محاربتها بإصرار وقد بدا واضحاً أنه راوغ كثيراً في مراودة الأسطورة، محاولاً أن يستفيد منها قدر ما يستطيع، حتى لا يشعرنا بأنّه يدين لها بشيء. ذلك لأنّ مضمونها المستغل هنا دون الشكل هو أحد الجزئيات الأصلية التي استعارها الكوني ليؤثث بها نصه الروائي، مضفياً إليها من عنده ما يجعلها أسطورة أدبية حسب مواصفات مضبوطة ومحددة، ولذلك تراه يتفنن في ابتداع كل ما توفره له مخيلته من الحيل، يركبها ببراعة عالية صوراً سردية ترهب بما تحتويه من مزايدات ذكية كل من تملي عليه نفسه مجرد التفكير في صيد الغزلان، يضع نصب عينيه بكل وعي "أنّ الصورة لا تكتفي بنقل المعنى الموضوعي، وإنما تكسب هذا المعنى صبغة جديدة تخولها الأداة التعبيرية. وبناءً عليه، فإن الصورة لا تعيد شيئاً إلى معنى من المعاني بقدر ما تنشئ معنى بذاته، يستقل عن الانطباع الذهني، ويتجذر في جدلية عميقة مع أداة التعبير"(ماجدولين، ٢٠٠٠ :٢٠)، ولأجل ذلك يقول ميمون في أولاهما: "إن للغزلان أرواحاً شريرةً. ألم تسمع بذلك المغامر من جبل الحسانونة الذي كان يصطاد الغزلان قطعاناً كاملةً، ويتاجر بها مع شركات النفط وتجار الشمال؟ لقد أصيب بمرض غريب ظل يثغو كالغزلان ويشكو من الأشباح، وفي النهاية وجدوه منتحراً في بيته..."(الكوني، الخروج الأول ..، ١٩٩٢: ١١٠-١٠٩)

وعن الغزال دائماً، يقول الراوي: "الغزلان أيضاً مسحورة... إذا أطلقت النار عليها فيجب أن تتأكد من إصابتها إصابة قاتلة، فتقتل شياطينها معها... وإلا فإن لعنتها قادرة على أن تلحق بك الأذى، خاصة إذا حدث ونسيت أن تذكر اسم الله عند الضغط على الزناد. عرف أنّ رجلاً جرح غزالة حامل فركبته شياطينها وفقد عقله... وبعد ثلاثة أيام مات..."(نفسه:٦٥)

ولأصناف الطيور الكثيرة التي راجت حولها أساطير شهيرة، يوظف الكوني منها هذه الأسطورة التي يريد بها إعطاء تفسيرات لظواهر الكون العجيبة في هذا العالم الصحراوي(سالم، ١٩٩٨ :٢٠٤)، وبطريقة فنية يستدرج من خلالها إعجاب القارئ، جاء فيها على الطريقة الحوارية.

Archive of SID

www.SID.ir

تمثل النماذج السردية السابقة عينات واضحة لانزياحات الأساطير المستعملة إنها إحدى طرائق الكوني الأسلوبية البارزة في جل أعماله، بل إنها حين توظيفه وفق ما آلت إليه هذه القناعة، يؤثث للنص مانحاً إياه كل أشكال الرفاه، مما يمكنه من التمتع بأكبر قدر من الاهتمام.

٥. النتيجة

روايات الكوني يتمتع بأسلوبية متميزة تقوم على أساس التعددية اللسانية وتمثيل اللغات المتعددة من لغات الكون وخاصة الصحراء التى وضعت موضع اهتمام جل آثاره من النصوص والروايات. لغة رواياته تجسيد حوارية اللغات المتنوعة والمتعددة، أى إنها هجينة اللغات من اللغة العامية واللهجات المحلية السائدة تداولها بين عامة القوم من أهله، التي تكشف عن تعددية صوتية تروم تصوير هرمية المستوى الفكري والاجتماعي في شتّى أعمال الكوني. لاتنحصر ميزات اللغة على هذا الحد من التعددية، بل إنّه يستخدم لغته التيفيناغ، لغة أسلافه، فى إبداعاته، ويدخل في آثاره من المقاصد الفنية والجمالية. للصحراء في أعمال الكوني صوتها، بل لها لغتها الصوفية. وهو يصور لغة الصحراء بجميع ما فيها من المكونات الأرضية وغيرها مثلما يلاحظ استخدامه لغة الجنب جمالياً تفنية مغرية للمتلقي.

عالم روايات الكونى لا ينحصر على المجتمع الإنساني ولغته ولغة تراثه، بل بما هو يصور عالماً صحراوياً، فيتخذ شبكة متشابكة من النصوص التي تقيم بالعلاقات الحوارية الداخلية مع لغة رواياته. يستحضر فيها مختلف اللغات من الإرث الأدبي، من الشعر والنثر القصصى، وغير الأدبي من الدين والتاريخ، وكذلك يستخدم الأسطورة. إنّه الأقوى افتتاناً بالأسطورة، إذ في حواريتها مع لغة الرواية، يهتم بتصوير المجتمع الصحراوي بنظامه القبلي وما فيها من القيم، ويمجد الطبيعة الصحراوية، والحياة البدائية، ويدين بالمقابل الحضارة المعاصرة. كما تزخر أعمال الكوني برصيد آخر من الملفوظات الأدبية شعراً ونثراً، في شكل مناصات أسلوبية، وتكشف للقارئ عما لهذا الكاتب من سعة الاتصال بالرصيد الأدبي كله؛ إنّه يلجأ إلى التاريخ الذي يكون في صلة وثيقة مع ينابيع الوطن الأسطوري. فيربط بين التاريخ والرواية وينهض على تصوير الواقعي والمعيش تصويراً فنياً تخييلياً. كذلك بسبب ما للكوني من الإلمام بالثقافة الدينية وشدة التأثر بها، فهو كثير الرجوع للاستشهاد بالآيات القرآنية وبالنصوص الدينية ومنها الموروث السردي الديني وتراث قصصي. هذه النصوص ما هي إلا الوحدات التأليفية الأساسية التي تتيح للتعدد اللغوي الدخول إلى الرواية، وكل واحدة من تلك الوحدات تقبل الأصداء المتعددة للأصوات الاجتماعية، وتقبل اتصالاتها وترابطاتها المختلفة.

في ذلك كله ما يكفي من الدلالة على سعيه عن طريق هذا التعدد اللغوي، أن تستتج غايته وهو جعل القارئ قارئاً يشعر بدقة إختيار هذه المناصات ودلالاتها، بما يبني في النص واقعاً موازياً للواقع. إذ يحول موضوع الرواية إلى تيمة كونية، بخلق شخوص وأحداث تعضدها دلالة المناصات المنتقاة، ويكشف عما في ساكنة الصحراء من التنوع الاجتماعي والتعدد اللساني.

الهوامش:

١. **إبراهيم الكوني**، وهو كاتب ليبي شهير، ولد بغدامس عام ١٩٤٨. نال شهادة الماجيستر بمعهد غوركي بموسكو ١٩٧٧ في العلوم الأدبية والنقدية. يجيد تسع لغات وقد ألفّ ما يناهز ستين كتاباً في الرواية والدراسات الأدبية والنقدية والسياسة والتاريخ(عبدي، ٢٠١٢ :٩٣). إنه قد استطاع فرض نفسه بين الكبار

Archive of SID

www.SID.ir

في ظرف زمني وجيز، حتّى أنّ العديد من رواياته قد ترجم إلى الكثير من اللغات في شتى أنحاء هذا العالم الفسيح. كما نال جوائز كثيرة مثل جائزة الدولة الاستثنائية الكبرى التي تمنحها الحكومة السويسرية، وهي أرفع جوائزها، وذلك عن مجمل أعماله الروائية المترجمة إلى الألمانية؛ كذا اختارته مجلة "لير" الفرنسية بين خمسين روائياً من العالم اعتبرتهم يمثلون اليوم "أدب القرن الحادي والعشرين"، وسمتهم "خمسون كاتباً للغد". إنّه المبدع الذي يمتلك مخيلة واسعة معبأة بطاقة لغوية هائلة، وقدرات جمالية متميزة، وبصمات أسلوبية مغايرة للمألوف الروائي العربي، إلى درجة تمثله نموذجاً روائياً عربياً عالمياً على مستوى رفيع. إنّه يملك من الفنيات التعبيرية ما يستطيع به التأثير بقوة على قرائه، معتمداً في ذلك توظيف رصيد بالغ الأهمية من المعرفة المتعمقة، المستمدة من ثقافة متأصلة، ضمن صفحات حضارات إنسانية غابرة، متنوعة، غنية، ينقل إلى القراء، صور سردية زاخرة، يرسم بذلك في أعينهم لوحات عن صحرائه فسيفسائية ساحرة.

٢. خط التيفيناغ، عبارة عن تلك الكتابة التى تعد تواصلاً للكتابة الصحراوية القديمة(انظر:غانم، ١٣٦٩: ٣٠-٤١).

٣. مخلوق بين الإنسان والجان.

٤. قبر الأسلاف(تماهق).

٥. الشيخ، العجوز، الزعيم، الجد.

٦. أحياء أولئك الذين لا يملكون القطعان والإبل. أحياء أولئك الذين لا يملكون سوى الأنفاس. لأنّ الرزق سيسعى للإنسان طالما بقيت روح في الجسم.

٧. رواية تصف العلاقة المدهشة التي تقوم في الصحراء بين إنسان وحيوان، وفيها يصعد الكاتب هذه العلاقة ليحل الحيوان في إنسان، ويحل الإنسان في حيوان.(انظر: صالح، ٢٠٠٩:١٤٧).

٨. ورد الفعل [لا تشتري] في النص مرسوماً بهذا الشكل، وهو كما يلاحظ، مضارع معتل الآخر، مسبوق بـ [لا] الناهية الجازمة، أين كان يجب جزمه فتحذَف علته.

٩. معنى البيت: مسكين، مسكين، أنا أموت، وأصبح وحيداً، أنا.

المصادر و المراجع

[١] القرآن الكريم.

[٢] احمدي، بابك(١٣٨٠). ساختار وتأويل متن. الطبعة الحادية عشرة. تهران: نشر مركز.

[٣] باختين، ميخائيل(١٣٨٣). زيبايى شناسى ونظريه رمان. ترجمة: آذين حسين زاده. الطبعة الأولى، تهران: مركز مطالعات و تحقيقات هنرى.

[٤] ..... (١٣٩٠). تخيل مكالمه اى جستارهايى درباره رمان، ترجمة: پور آذر. تهران:نشر نى، الطبعة الثانية.

[٥] ..... (١٩٨٧). الخطاب الروائي، ترجمة: د. محمد برادة. الرباط: دار الأمان.

[٦] الباردي، محمد(١٩٩٦). في نظرية الرواية. تونس: دار سراس للنشر .

[٧] بن جمعة، بوشوشة(٢٠٠٧). الرواية الليبية المعاصرة. المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار، الطبعة الأولى.

[٨] التلاوي محمد نجيب(٢٠٠٠). وجهة النظر في روايات الأصوات العربية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

[٩] تودوروف، تزفيتان(١٩٩٦م). ميخائيل باختين

Archive of SID
www.SID.ir

المبدأ الحواري. ترجمة: فخرى صالح. منتديات مكتبة العرب، الطبعة الثالثة.

[١٠] جبور، عبد النور(١٩٧٩). المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى.

[١١] جهينة، خالد محمد. الفن الروائي في أدب إبراهيم الكوني. رسالة ماجستير. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

[١٢] حمود، ماجدة(٢٠٠٠). مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

[١٣] دراج، فيصل(٢٠٠٢م)، نظرية الرواية والرواية العربية. بيروت: المركز الثقافى العربى، الطبعة الثانية.

[١٤] رياض وتار، محمد(٢٠٠٢). توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

[١٥] سالم ولد محمد الأمين، محمد. (١٩٩٨). مستويات اللغة في الروايات العربية المعاصرة. رسالة ماجستير، إشراف الدكتور صلاح فضل. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

[١٦] سنقوقة، علال(٢٠٠٧-٢٠٠٨). مخيال الصحراء في روايات إبراهيم الكوني. رسالة لنيل شهادة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر.

[١٧] شنوفي، ميلود(٢٠١٠-٢٠١١). إشكالية التعميم في حوارية باختين. أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الجزائر.

[١٨] صالح، فخري(٢٠٠٩). في الرواية العربية الجديدة، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى.

[١٩] عبدي، صلاح الدين(٢٠١٢). «الواقعية السحرية في أعمال إبراهيم الكوني (رواية «الورم» نموذجاً)»، مجلة العلوم الإنسانية الدولية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ع١٢(٤)، صص٨٩-١٠٨.

[٢٠] عليوات، سامية(٢٠٠٨). تعدد الأصوات في الرواية الهامشية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المركز الجامعي العقيد محند أولحاج، البويرة.

[٢١] الغانمي، سعيد(٢٠٠٠). ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني. مغرب: الدار البيضاء، الطبعة الأولى.

[٢٢] فرشوخ، أحمد(١٩٩٦). جمالية النص الروائي الرباط: دار الأمان، الطبعة الأولى.

[٢٣] فضالة، إبراهيم(٢٠١٠-٢٠١١). لغة الخطاب في روايتي الطاهر وطار، [الزلزال الشمعة والدهاليز]. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. جامعة الجزائر[٠٢].

[٢٤] فضل، صلاح(٢٠٠٢). تحليل شعرية السرد. القاهرة: دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى.

[٢٥] قسومة،الصادق(٢٠٠٩). علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

[٢٦] الكردي عبد الرحيم(٢٠٠٦). السرد فى الرواية المعاصرة(الرجل الذى فقد ظله نموذجاً). القاهرة: مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.

[٢٧] الكوني، إبراهيم(١٩٩٠). التبر، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى.

[٢٨] .....(١٩٩٠).المجوس. الجزء الأول، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثالثة.

[٢٩] .....(١٩٩١). نزيف الحجر، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الرابعة.

[٣٠] .....(١٩٩١). ديوان النثر البري. دار

Archive of SID
www.SID.ir

التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

[٣١] ..... (١٩٩٢). الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر،الطبعة الأولى.

[٣٢] .....(١٩٩٢). الوقائع المفقودة من سيرة المجوس الربة الحجرية ونصوص أخرى. دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

[٣٣] ..... (١٩٩٢). المجوس. الجزء الثاني، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية.

[٣٤] .....(١٩٩٥). فتنة الزؤان. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

[٣٥] ..... (١٩٩٧). الخسوف، (الواحة). ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثالثة.

[٣٦] .....(١٩٩٨). صحرائي الكبرى، (نصوص). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

[٣٧] .....(١٩٩٩). واو الصغرى، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

[٣٨] .....(٢٠٠٥). صحف إبراهيم، متون بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

[٣٩] .....(٢٠٠٩). وطني صحراء كبرى، حوارات. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

[٤٠] ماجدولين، شرف الدين(٢٠٠٠). ضوابط البلاغة النوعية للصورة في ألف ليلة وليلة. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب. جامعة محمد الخامس، المغرب.

[٤١] المتنبي، أبو الطيب(١٩٨٦). الديوان، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبيتي. بيروت: دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى.

[٤٢] مرتاض، عبد الملك(١٩٩٠). في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

[٤٣] المسدي، عبد السلام(١٩٨٢). الأسلوبية والأسلوب. تونس: الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة.

[٤٤] المودن، حسن(٢٠٠٩). الرواية والتحليل النصي. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى.

[٤٥] النويصري، رامز رمضان(٢٠٠٨). قراءات في النص الليبي. ليبيا: مجلس الثقافة العام، الجزء الثاني.

[٤٦] نمر موسى، إبراهيم (٢٠٠٨). «نحو تحديد المصطلحات: التناص، الأدب المقارن، السرقات الأدبية». مجلة علامات، النادي الثقافي، جدة: المملكة العربية. ٥٥-٦٨.

[٤٧] واربن، أوستن و رينيه ويليك.(١٩٧٢). نظرية الأدب. ترجمة: محيي الدين صبحي. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الطبعة الثانية.

[٤٨] يقطين، سعيد(٢٠٠٦). انفتاح النص الروائي، النص والسياق. المغرب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة.

Archive of SID
www.SID.ir

References

[1] The Holy Qur'an

[2] Ahmadi, Babak (Undated). *Structure and Interpretation of Text*. 11th Edition. Tehran Markaz Publication.

[3] Bakhtin, Mikhail (2004). *Aesthetics and Theory of Novel*. Translation: Hosseinzadeh. 1st Edition, Tehran: Center for Art Studies.

[4] _____ (2011). *Imaginary Conversations Queries about the Novel*, Translation: Pour Azar. 2nd Edition Tehran: Ney Publication.

[5] _____ (1987). *Novelist Discourse*. Translation: Mohammed Berrada. Rabat: Aman Publication.

[6] Bardi, Muhammad (1996). *The Theory of Novel*. Tunisia: Sras Publication.

[7] Benjamin, Bouchoucha (2007). *Contemporary Libyan Novel*. Maghreb Publication, 1st Edition.

[8] Al-Tilawi Mohamed Naguib (2000). *Point of view in the Narrative of Arabic Novels*. Damascus: Arab Writers Union.

[9] Todorov, Tzvitan (1996). *Mikhail Bakhtin's Principle of Dialogism*. Translation: Fakhri Saleh. 3rd Edition.

[10] Jabbour, Abdel Nour (1979). *Literary Lexicon*. Beirut: Ilm Publication, 1st Edition.

[11] Juhaynah, Khalid Mohammed (2012). "Novelistic Art in the Literature of Ibrahim Koni". Master Thesis. Cairo: Institute of Arab Research and Studies.

[12] Hammoud, Magda (2000). *Comparative Studies of Comparative Literature*. Damascus: Arab Writers Union Publications.

[13] Doraj, Faisal (2002). *Theory of the Novel and the Arabic Novel*. Beirut: Arabic Cultural Center, 2nd Edition.

[14] Riad Vtarr, Muhammad (2002). *Employing Heritage in Contemporary Arabic Novel*. Damascus: Arab Writers Union Publications.

[15] Salem Valad Mohamed Amin, Muhammad. (1998). "Levels of Language in Contemporary Arabic Novels". Master Thesis, supervised by Salah Fadl. Cairo: Institute of Arab Research and Studies.

[16] Snicoqeh, Allal (2007-2008). "Desert Fantasy in the Novels of Ibrahim Koni". PhD Thesis in Arabic Language and Literature, University of Algiers.

[17] Shnovi, Miloud (2010-2011).

Archive of SID

www.SID.ir

"Generalization in Bakhtin's Dialogism". PhD Thesis in Arabic Language and Literature, University of Algiers.

[18] Saleh, Fakhri (2009). Modern Arabic Novel, Algeria: Arab Scientific Publishers, 1st Edition.

[19] Abdi, Salah al-Din (2012). Magical Realism in the Works of Ibrahim Koni, *Journal of Human Sciences International Islamic Republic of Iran*, Vol. 12 (4), Pp. 89-108.

[20] Alioat, Samia (2008). Polyphony in Marginal Novel. MA Dissertation, Bouira: Al Aquid Mohand Oulhaj University.

[21] Ghanimi, Saeed (2000). *Near the Boundaries of Epic Desert Fantasy in the Literature of Ibrahim Koni*. Morocco: Bayza Publication, 1st Edition.

[22] Farshoukh, Ahmad (1996). *Aesthetic of the Text of Novel*. Rabat: Aman Publication, 1st Edition.

[23] Fazalat, Ibrahim (2010-2011). " The Language of Discourse in Two Novels of Tahar Vettar", PhD Thesis. University of Algiers.

[24] Fazl, Salah (2002). Analysis of Poetic Narrative. Cairo: Egyptian Book House, 1st Edition.

[25] Gasouma, Sadiq (2009). Science of the Narrative (the content of speech and implication). Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh: Saudi Arabia.

[26] Kurdi, Abdul Rahim (2006). Narrative in Contemporary Novel (*Man who Lost his Shadow*). Cairo: Arts Library, 1st Edition.

[27] Koni, Ibrahim (1990). *Al-Taber* (Gold Dust), RiadRayes Publication, 1st Edition.

[28] _____ (1990). *Al-Majoos*. Vol. 1, Jamahir Publication and Distribution House, 3rd Edition.

[29] _____ (1991). *Bleeding Stone*, Libya: Jamahir Publication and Distribution, 4th Edition.

[30] _____ (1991). *Diwan al-Naser al-Barri*. Tanvir Publisher and Distributor, 1st Edition

[31] _____ (1992). *First Exit form the Country*….. Beirut: Tanvir Publication and Distribution, 1st Edition.

[32] _____ (1992). *Missing Facts from the Biography of Al-Majoos Goddess Stone and other text*s. Beirut: Tanvir Publication and Distribution,

Archive of SID
www.SID.ir

1st Edition.

[33] _____ (1992). *Al-Majoos*. Vol. 2. Beirut: Arab Institute for Research and Publishing, 2nd Edition.

[34] _____ (1995). *Fitnat al-Zuwān*. Beirut: Arab Institute for Research and Publishing, 1st Edition.

[35] _____ (1997). *Al-Khosof* (Eclipses). Libya: Libyan Publication and Distribution House, 3rd Edition.

[36] _____ (1998). *Sahrael-Kobra* (texts). Beirut: Arab Institute for Research and Publishing, 1st Edition.

[37] _____ (1999). *Waw-al Sughra*, Beirut: Arab Institute for Research and Publishing, 1st Edition.

[38] _____ (2005). *Sahaf Ibrahim*. Beirut: Arab Institute for Research and Publishing, 1st Edition.

[39] _____ (2009). *A Great Desert Nation*. Beirut: Arab Institute for Research and Publishing, 1st Edition.

[40] Magdoline, Sharaf al-Din (1999 2000). "Rhetoric in One Thousand and One Nights". PhD Thesis, Morocco: Mohammed al-Khames University.

[41] Al-Mutanabbi, Abu Tayeb (1986). Al-Divan, Explanation and Introduction by Mostafa Sbeity, Beirut: Scientific Books House, Vol. 2. 1st Edition.

[42] Mortaz, Abdul Malik (1990). *Novel Theory*. Discussion on Narrative Technique. Kuwait: World Knowledge Series, National Council for Culture, Arts and Literature.

[43] Masdi, Abdul Salam (1982). *The Stylistic Method*. Tunisia: Arab Book House, 3rd Edition.

[44] Al-Moadden, Hassan (2009). Novel and Textual Analysis. Beirut: Arab Scientific Publishers, 1st Edition.

[45] Al-Noisary, Ramez Ramazan (2008). *Readings Libyan Texts*. Libya: General Council of Culture, Part II.

[46] Nomer Mosa, Ibrahim (2008). "Towards Defining Terms: Intersexuality, Comparative Literature, and Plagiarism". *Journal of Signs*, Cultural Club, Jeddah: Saudi Arabia. 55-68.

[47] Warren, Austin and Rene and Lacquer. (1972). *Literary Theory*. Translation: Muhyiddin Subhi. The Supreme Council for Arts and Social Sciences, 2nd Edition.

[48] Yaghtin, Saeed (2006). *The Openness of Narrative Text and Context*. Morocco: Arab Cultural Center.

Archive of SID

www.SID.ir

گفتگومندی زبان در رمان‌های ابراهیم الکونی

فاطمه اکبري زاده،[*1] محمد طيّبي[2]

تاریخ دریافت: ١٣٩٢/١٢/٢٤ تاریخ پذیرش: ١٣٩٣/٧/١

رمان پدیده‌ای زبانی است که به نوعی اصالت آن در آمیختگی سبک‌های مختلف، زبان‌های متعدد و صداهای متنوعی است که میان آن ها رابطه‌ی گفتگومندی وجود دارد. رمان با نشان دادن ویژگی صداهای مختلفِ زبان‌های اجتماعی، گفتمان را به گونه‌ای رقم می‌زند که زیبایی‌های روابط زبانی بازنموده و رویدادها بیشتر قابل درک شوند. همچنین روابط گفتگومند میان زبان رمان و زبان سایر انواع ادبی و غیرادبی، متن را در پیوند بینامتنی با آن‌ها قرار می‌دهد. بررسی زبان رمان از این رویکرد نقدی یعنی «گفتگومندی»، نشان می‌دهد که رمان نویس چگونه رمزهای سبکی خاص خود و ابزارهای بیانی را به کار بسته و به استفاده و نوع انتخاب ماده زبانی توجه دارد. بررسی توصیفی-تحلیلی در این مقاله، ویژگی گفتگومندی زبان در رمان‌های ابراهیم الکونی را نشان می دهد؛ رمان‌هایی که به تصویرسازی دنیای صحرا به شکل دنیایی زنده و مملو از احساسات زیبا توجه دارد. الکونی، چندزبانی را با بهره از زبان‌های مختلف از سطوح مختلف اجتماعی از زبان معاصران و گذشتگان و... در رمان به کار برده و حتی به گیاهان و حیوانات زبان خاصی داده است. او صحرا وعناصر آن را می‌ستاید و تصویری زیبا از صحرا در زبان رمان می‌آفریند. برای تقویت این تصویر، روابط گفتگومند درونی میان زبان رمان و زبان سایر انواع ادبی، اسطوره‌ای، دینی و تاریخی را به‌کارمی‌گیرد به طوریکه رمان به تابلویی گفتگومند بر اساس ناهمگونی زبانی و ایدئولوژیک تبدیل می شود.

کلید واژگان: گفتگومندی، چندزبانی، بینامتنیت، رمان، ابراهیم الکونی.

[1]. فارغ التحصیل گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس. Hasty8359@yahoo.com
[2]. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه البلیدة، الجزائر. Taibi_m@yahoo.fr

Archive of SID
www.SID.ir

MANIFESTATIONS OF DIALOGISM IN THE NOVELS OF IBRAHIM KONI

Fatemeh Akbarizadeh[1], Mohammad Tayebi[2]

Received: 2014/3/15 Accepted: 2014/9/23

Language is the fundamental of meaning and semantic in discourse, a system that is complex more than any other. In other words, a novel is a linguistic phenomenon that is an integration of different styles of speech, heteroglossia and voices where there exist dialogism relationships. Showing peculiarities of different social languages, a novel represents the dialogism relationship in a way that it can make the narratives more understandable because this multiplicity of languages is effective in the layer of discourse. Likewise, the knowledge of author about literary and non-literary texts is effective in creating inter-textual relationship with previous texts. A review of the novel language, from the view point of critical 'dialogism' shows how novelists apply special style, secrets, and phrase. A descriptive - analytical study shows dialogism features in the language of the novels of Ibrahim Koni. In his novels, Koni tries to portray desert and its creatures in a way that makes the desert an absolutely beautiful world with full of emotion. Even, he accords particular language to plants, animals and others desert objects. Further, he uses intertextual relationships between languages of his novel and a variety of other literary, mythological, religious and historical languages and changes the novel language into a tableau of dialogism based on language heterogeneity and ideology of desert creatures.

Keywords: Dialogism; Heteroglossia; Intertextual; Novel; Ibrahim Koni.

Archive of SID

1 . PhD in Arabic Language and Litrature, Tarbiat Modares university. E-mail: Hasty8359@yahoo.com
2. Assistant Professor, department of Arabic language and literature, Blida university, Algeria. E-mail: Taibi_m@yahoo.fr

www.SID.ir